# رَدُّ الشُّبهات التى افْتَرَاهَا خُصومُ الإسلامِ على بُكاءِ النَّبيِّ موسي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليلةَ الإسراءِ والمعراج

الدكتور
عُمر مُحمَّد عُمر عَبد الرَّحمن

الألوكة
www.alukah.net

# رَدُّ الشُبهات التى افْتَرَاهَا خُصومُ الإسلامِ على بُكاءِ النَّبيِّ موسي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليلة الإسراءِ والمعراج

الدكتور
عُمر مُحَمَّد عُمر عَبد الرَّحمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلامُ علي مَنْ لا نبي بعده ...

وبعد ...

فَمَا زالَ أعداءُ الإسلامِ يكيدونَ للإسلامِ وأهلهِ فِي كُلِّ وقتٍ وحينٍ، فوقَ أي أرضٍ كانواْ وَتحتَ أَي سماءٍ، هدفهم واضحٌ معلنٌ لا يخفي علي كُلِّ ذي لُبٍ سليم، وهذا الهدف الذي يعملونَ مِنْ أجله ويسخرونَ له كل طاقاتهم الماديَّة والمعنويَّة هو : العداءُ للإسلامِ وأهله، محاولينَ أنْ يصدواْ النَّاسَ عَنْ دينهم، أو يصرفوهم عنه بالكليَّةِ، وذلكَ بالطعنِ في السُّنَّة النبويَّة المطهرةِ – علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام – تارةً بالطعن والتشكيك في رُواتها – ابتداءً من صحابة رسول الله ﷺ حتَّي مَنْ دونوا كُتب السُّنَّة وأحاديث الرسول ﷺ – وتارةً بالطعنِ في ألفاظها ( متنها ) بحجَّةِ مخالفة هذه الأحاديث للقرآن الكريم أو للذوق العام – كمَا يَّدعونَ – ولكن هيهات هيهات أن يصلوا لمبتغاهم، والله بِمَا يعملونَ محيطٌ!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهدف أولئكَ مِنَ الطعنِ في السُّنَّة المطهرة هو الوصول – أو محاولةَ الوصولِ – بالطعن إلي القرآنِ الكريم ذاته، ثُمَّ التشكيك في الدين الإسلاميّ أكمله، والله متم نوره ولو كره الكافرونَ!

وَكانَ مِنْ أكثرِ الأحاديث التي أُثيرَ حولها الشكوك والشُبهات والكذب حديث البخاري المعروف المشهور في قصة الإسراء برسول الله ﷺ ثُمَّ المعراجُ بِهِ، وقد توقف القومُ كثيرًا حولَ بُكاء سيدنا موسي عليه السلام محاولينَ توصيفه على أَنَّه كان حقدًا وحسدًا ليتمكنوا مِنْ خِلال هذا القول – المفترى – مِنْ ردِّ الحديث، بادِّعاء أَنَّه مِنْ وضع اليهود ، فوجبَ على المسلمينَ أنْ يردوا هذا الحديث (!) .

وعلى مدى التاريخ يحاول أعداء الإسلام أَنْ يُشككوا المسلمينَ في عقائدهم، ومَا ثبتَ لديهم من صحيح سُنَّةِ رسول الله ﷺ بكلام تضحك منه الثكلي، لا يمت للعلم بصلةٍ مِنْ قريبٍ أو بعيدٍ.

ولكن كانَ علماءُ الإسلامِ ورجالُ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ لهؤلاء بالمرصاد، فقعدوا لهم كل مرصدٍ، وفنَّدوا شُبهَهم وأباطيلهم وبينَّوا للنَّاس كذبهم وتدليسهم، حتَّي يكونَ النَّاس علي بينةٍ من أمر دينهم، وعلي ثقةٍ من صحة كلام نبيهم عليهم السلام ..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد حاولتُ في هذه السطور أَنْ أجمعَ شتات مَا قاله علماء الإسلام، وحفاظَ الحديث والأثر، في الردِّ عَلَي مَا افتروه كذبًا واختلقوهُ علي حديث سيِّدِ الخلق ﷺ .

فبدأتُ أولاً بعرضِ الحديث من صحيح البخاري – كما جاءَ فيه كاملاً – ثُمَّ عرضت أقوالَ المنكرين للسُّنَّةِ في هذا الحديث ، لأختمَ هذه السطور بكلام العلماء الذي يُمثل المنهج العلميَّ القويم في الردّ علي الشبهات والأباطيل التي أثارها خصوم الإسلام متضمنًا بيانُ المعني الصحيح للحديث النبويِّ الشريف ..

فإنْ وُفقت لِمَا قصدتُ فالفضل والمنة لله ﷻ وحده، وإنْ كانت الأخري فأسأل الله العفو والمسامحة عَنْ الزلل والخطأ ..

والله مِنْ وراء القصد، وهو ﷻ يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل!

الشيخ: عمر محمد عمر عبد الرحمن

عامله الله بلطفه الخفي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدِهِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ -وَذَكَرَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ- فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالاَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قِيلَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ مَرْحَبًا مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ مَا أَبْكَاكَ قَالَ يَا رَبِّ، هَذَا الْغُلاَمُ الَّذِى بُعِثَ بَعْدِى يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِى، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِىَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِى سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِى أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِى الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَىَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ فُرِضَتْ عَلَىَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، قَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلاَثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ جَعَلَهَا خَمْسًا،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

**فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِىَ إِنِّى قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِى، وَأَجْزِى الْحَسَنَةَ عَشْرًا».**

وَقَالَ هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِىِّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**فِى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**» [1].

[1] رَاجِعْ صَحِيحَ الْبُخَارِىِّ كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ رَقَمُ ٥٩ - بَابُ ذُكْرُ الْمَلاَئِكَةِ رَقَمُ ٦ (٣٠٢/٦) حَدِيثٌ رَقَمُ ٣٢٠٧، وَلَهُ أَطْرَافٌ تَحْتَ أَرْقَامِ: ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# مَا أثارهُ المنكرونَ للسُّنَّةِ حولَ الحديث

أُحِبُّ أَنْ أُسَجِّلَ أَوَّلاً جُزْءًا مِنْ خَوَالِجِ النَّفْسِ وَيَسِيرًا مِنْ أَلَمِ الْفُؤَادِ، إِذْ إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ اسْتَفَادُوا مِنْ بَعْضِ الْمَعَاصِرِينَ وَمِنْ دُعَاةِ الْمَذَاهِبِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ مِنْهُمْ بَعْضَ الْمَنَاهِجِ الَّتِى لاَ تَلِيقُ بِالْعِلْمِ وَلاَ بِالْعُلَمَاءِ، وَلاَ تُنَاسِبُ التَّرْبِيَّةَ وَلاَ تَنْسَجِمُ مَعَ الْمُرَبِينَ.

فَأَرْبَابُ بَعْضِ الْمَذَاهِبِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ قَدِ انْتَهَجُوا لأَنْفُسِهِمْ مَنْهَجًا عَجِيبًا، يَدُورُ عَلَى قُطْبَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ هُمَا:

- الْمَغَالَطَةُ الشَّدِيدَةُ فِى قَضَايَا الْعَقْلِ وَمَوْضُوعَاتِ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ مِنْ نَاحِيَةٍ،
- وَالإِسْفَافِ فِى الْقَوْلِ وَالْهُبُوطِ بِالْحَدِيثِ، وَاتِّهَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ إِلَى الْحَدِّ الَّذِى يَطْبَعُ عَلَى وُجُوهِ الْعُقَلاَءِ حُمْرَةً لَيْسَ لَهَا مِنْ دِلاَلَةٍ إِلاَّ خَجَلُ النَّفْسِ الْمُتَأَلِّمَةِ الْمَكْلُومَةِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

وَهُمْ فِى الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا يَعْمَدُونَ إِلَى رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْبَاطِلِ إِنْ كَانُوا مُتَحَدِّثِينَ، وَهُمْ يَعْمَدُونَ إِلَى خَلْطِ الأَوْرَاقِ وَبَعْثَرَةِ الْمَوْضُوعَاتِ إِنْ كَانُوا مِنَ الْكَاتِبِينَ.

وَلِلَّهِ فِى خَلْقِهِ شُئُونٌ!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَرَدْتُ أَنْ أُسَجِّلَ هَذَا الْخَاطِرَ، لأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِى نَحْنُ بِصَدَدِهِ يُعَدُّ مِنْ أَنْسَبِ الْمَوَاضِعِ الَّتِى تُسَجَّلُ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمُلاَحَظَةُ، إِذِ الْمُغَالَطَةُ فِى فَهْمِ هَذَا الْحَدِيثِ ظَاهِرَةٌ لاَ سُتْرَةَ بِهَا، إِنْ كَانَ الْقَوْمُ يَفْهَمُونَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِىَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَالْجَهَالَةُ بَادِيَةٌ بِكُلِّ مَعَانِيهَا مُعَبِّرَةٌ أَشَدَّ التَّعْبِيرِ عَنْ نَفْسِهَا إِنْ كَانَ الْقَوْمُ لاَ يَفْهَمُونَ الْبُعْدَ الْحَقِيقِىَّ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

وَالاِحْتِمَالُ الأَوَّلُ سَيِّئٌ، وَالاِحْتِمَالُ الثَّانِى أَشَدُّ سُوءًا.

وَلاَ نُطِيلُ هُنَا فِى عَرْضِ هَذِهِ الْمُلاَحَظَةِ، بَلْ نَنْتَقِلُ إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْقَوْمُ مُبَاشَرَةً حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَنُبِينُ عَنِ الْمُسْتَنَدُ الَّذِى يَمْلِكُونَهُ وَيَعْتَبِرُونَهُ جُزْءًا مِنْ مُعْجِزَةِ الْعَصْرِ الَّتِى عَلَى أَسَاسٍ مِنْهَا شَدَّدَ الْقَوْمُ النَّكِيرَ عَلَى النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَلَى سُنَّتِهِ.

وَالْحَدِيثُ عَلَى طُولِهِ لَمْ يَسْتَوْقِفِ الْقَوْمَ مِنْهُ إِلاَّ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– حِينَ مَرَّ النَّبِىُّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِهِ بَكَى، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْغُلاَمَ الَّذِى جَاءَ فِى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ الزَّمَانِ قَدْ هُيِّئَ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ الأَتْبَاعِ مَا لَمْ يُهَيَّأْ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ سَبَقُوهُ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ تَابِعًا، وَسَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِهِ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

بُكَاءُ مُوسَى وَحْدَهُ هُوَ الَّذِى اسْتَوْقَفَ الْقَوْمَ، وَبُكَاءُ مُوسَى وَحْدَهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هُوَ الَّذِى جَعَلَهُمْ يَرُدُّونَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

ويَبْدُو أَنَّ الْقَوْمَ حِينَ تَعَرَّضُوا لِهَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ وَاضِحًا أَمَامَهُمْ بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ هَذَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِىَّ فِى هَذَا الْحَدِيثِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ مُحَدَّدًا أَمَامَهُمْ بِالْفِعْلِ بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِى سَيَصْطَنِعُونَهُ فِى هُجُومِهِمْ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ خَاصَّةً وَعَلَى السُّنَّةِ عَامَّةً، بَلْ وَعَلَى النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِى نِهَايَةِ الْمَطَافِ.

وَآيَةُ مَا ذَكَرْتُهُ الآنَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَالُوا: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِى يُعَبِّرُ عَنْ بُكَاءِ مُوسَى، أَسَفًا عَلَى عِصْيَانِ بَعْضِ بَنِى إِسْرَائِيلَ، كَانَ مِنْ وَضْعِ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْفُسِهِمْ.

وَأَنَا وَإِنْ كُنْتَ أَلْمَحُ هَذِهِ الابْتِسَامَةَ الْعَرِيضَةَ مِنْكَ، فَإِنِّى لأَرْجُوكَ أَنْ تَجْمَعَ عَلَيْكَ قُوَى نَفْسِكَ حَتَّى تُتَابِعَنِى فِى عَرْضِ مَقُولَتِهِمْ وَأَنْتَ عَلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الاسْتِعْدَادِ، وَفِى الْقِمَّةِ مِنَ الاكْتِرَاثِ وَالاهْتِمَامِ.

وَدَعْكَ مِنَ اهْتِمَامِ الْيَهُودِ وَبَنِى إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ فِى كُلِّ مُنَاسَبَةٍ، وَسَتَجِدُهُ بِغَيْرِ مُنَاسَبَةٍ أَصْلاً.

ثُمَّ تَأْتِى فِى هَذِهِ النُّقْطَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِى ذَكَرَهَا الْقَوْمُ وَهُمْ يَرُدُّونَ هَذَا الْحَدِيثَ.

وَالنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ هِىَ: أَنَّ فِى هَذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ مِنَ التَّفَاخُرِ وَالزَّهْوِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّتِي عَرَضَتْ لِلنَّبِيِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَخَاصَّةً مُوسَى.

وَحَاشَاهُ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– !

وَكَأَنِّي بِمُنْكِرِي السُّنَّةِ يُخَيِّرُونَنَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوْاقِفِ إِمَّا أَنْ نَقْبَلَ النَّبِيَّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِهَذِهِ النَّقَائِضِ الشَّخْصِيَّةِ [وَمَعْذِرَةً لِلنَّبِيِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–] وَإِمَّا أَنْ نُجَرِّدَهُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَتَقْرِيرٍ فَنَرْفُضُ سُنَّتَهُ.

وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ حَالَةٍ مُنْتَصِرُونَ!

**﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾** [التَّوْبَةُ: ٣٢].

وَيُضِيفُ الْقَوْمُ فِيمَا يُضِيفُونَهُ مِنْ أَسْبَابِ رَدِّ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ فِيهِ كَلاَمًا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ، خَاصَّةً عَنْ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ وَمِنَ الَّذِينَ سَيَحْظَوْنَ بِالْعَدَدِ الأَكْبَرِ مِنَ الْمَقَاعِدِ وَالأَمْكِنَةِ فِي الْجَنَّةِ يَقُولُونَ إِنَّ هَذَا حَدِيثٌ عَنِ الْغَيْبِ وَتَنَبُّؤٌ بِمَا سَيَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا أَمْرٌ كَمَا يَقُولُونَ بِعِبَارَتِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُ النَّبِيُّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلاَ غَيْرُهُ.

يَا اللَّهُ !

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّنَا لاَ نَدْرِى مَا الَّذِى يَقْصِدُونَهُ بِكَلِمَةِ (وَلاَ غَيْرُهُ) هَلْ يَقْصِدُونَ أَنْ يُعَرِّضُوا بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، أَمْ مَاذَا يُرِيدُونَ ؟!

إِنَّ الْغَيْرِيَّةَ هُنَا لاَ تَعْنِى إِلاَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْقِمَّةِ، فَهَلْ بَلَغَتِ الْجُرْأَةُ بِهِمْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ؟!

وَإِنِّى لأَقْبِضُ الآنَ عَلَى عَنَانِ الْقَلَمِ وَأَمْسِكُ بِزِمَامِهِ لأَمْنَعَهُ عَنِ الْحَدِيثِ فِى هَذَا الْمَجَالِ الْخَطِرِ، إِذْ رَبُّنَا قَدْ وَجَّهَنَا حَيْثُ قَالَ: ﴿**وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[الأنْعَامُ: ١٠٨].

الْمُهِمُّ عِنْدَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهُ النَّبِىُّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلاَ غَيْرُهُ وَأَرْجُوكَ أَنْ تَتْرُكَ الْقَوْلَ عَلَى عِلاَّتِهِ حَتَّى مَوْضِعَهُ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ الَّذِى سَيَكُونُ أَمَامَ عَيْنَيْكَ بَعْدَ قَلِيلٍ بِفَضْلِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ.

ثُمَّ يَرْفَعُ الْقَوْمُ عقيرتهم بِكَلاَمٍ قَرَأُوهُ وَمَا عَقَلُوهُ فِيمَا أَثَارَهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ مِنْ أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فِى دَارِ النَّعِيمِ، فَهَلْ يَلِيقُ بِالْمُنَعَّمِ أَنْ يَبْكِىَ وَالْبُكَاءُ أَلَمٌ ؟!

وَأَعْجَلُ وَأَقُولُ لَكَ -وَلِلْكَلاَمِ بَقِيَّةٌ وَنَحْنُ نُنَاقِشُ هَذِهِ الأَقْوَالَ-: إِنَّ الأَحْدَاثَ وَحْدَهَا، وَالظَّوَاهِرَ بِمُفْرَدِهَا لاَ تُبِينُ عَمَّا يُرَادُ مِنْهَا، بَلْ إِنَّ الظَّوَاهِرَ وَالأَحْدَاثَ تَحْتَاجُ لِفَهْمِهَا إِلَى آلَةِ فَهْمٍ أَوَّلاً، وَإِلَى فَهْمِ الْبَوَاعِثِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمُرَادِهَا، وَالْغَايَاتِ وَالْمَقَاصِدِ الَّتِى تَنْتَهِى إِلَيْهَا، إِذْ بِغَيْرِ ذَلِكَ لاَ تُفْهَمُ الْحَوَادِثُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ لاَ تُعْقَلُ الأَشْيَاءُ.

ثُمَّ يَنْتَهِى أحَدهم إِلَى هَذِهِ الْعِبَارَاتِ مِنَ الْوَلْوَلَةِ وَالْعَوِيلِ عَلَى عَادَتِهِم دَائِمًا فِى اصْطِنَاعِ أُسْلُوبِ الْقَوَاعِدِ الَّذِى لاَ يَلِيقُ، فَيَقُولُ: (وَإِنِّى أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِاللَّهِ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ هَلْ تَسْتَطِيعُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْكَلاَمِ الْهَزِيلِ وَبَيْنَ مَا عَرَفْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ جِدِّيَّةٍ فِى الْقَوْلِ وَمِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ وَسُمُوِّ الْغَايَةِ فِى الْحَدِيثِ ؟ وَهَلْ تَسْتَطِيعُ الْمُجَادَلَةَ فِى أَنَّهُ بَرِىءٌ مِنْ هَذَا الْهُرَاءِ، وَأَنَّهُ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا التَّخْرِيفِ ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ )[1].

---

[1] نقلاً عَنْ كتابهم: ( الأضواء القرآنيَّة، في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها ) وقد سمى المؤلف نفسه بالسيد صالح أبي بكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الْقَوْلُ الْحَقُّ فِى حَدِيثِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ :

قُلْنَا فِيمَا قُلْنَاهُ أَوْ نَحْنُ نُصَوِّرُ رَأْىَ الْقَوْمِ فِى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِى نَحْنُ بِصَدَدِهِ الآنَ إِنَّ الْقَوْمَ يُسَجِّلُونَ بِمُلاَحَظَاتِهِمْ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ لِلْقَضِيَّةِ الَّتِى هُمْ بِصَدَدِهَا وَهَذَا احْتِمَالٌ.

أَوْ هُمْ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَهُ عَلَى فَهْمٍ تَامٍّ، لَكِنَّهُمْ يغَالطُونَ فِى الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَهَذَا احْتِمَالٌ آخَرُ.

وَنَحْنُ لاَ نَمْلِكُ فِعْلَ الْخِطَابِ فِى التَّرْجِيحِ بَيْنَ هَذَيْنِ الاِحْتِمَالَيْنِ، فَكِلاَهُمَا وَارِدٌ وَكِلاَهُمَا ضَارٌّ بِسُمْعَةِ هَؤُلاَءِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَنْصَحُونَ لَهُمْ أَوْ يختَارُونَ فَأَنَا أَفْضَلُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا جَاهِلِينَ بِالْمَوْقِفِ كُلِّهِ عَلَى نَحْوِ مَا هُوَ مُقْتَضَى الاِحْتِمَالِ الأَوَّلِ، عَلَى أَنْ يَكُونُوا عَالِمِينَ وَلَكِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ إِلَى الْمُغَالَطَةِ فِى الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ.

وَتَبْرِيرُ هَذَا الاِخْتِيَارِ لَهُمْ هُوَ أَنَّ هَذَا الاِخْتِيَارَ فِيهِ صِيَانَةٌ لِعَقِيدَتِهِمْ وَهِىَ أَكْرَمُ عِنْدَ الْعُقَلاَءِ وَأَرْبَابِ الْفُهُومِ مِنْ أَنْ تَحْتَاطَ لِمَوْقِفِهِمُ الْعِلْمِىِّ خَاصَّةً وَأَنَّهُمْ مُرْتَكِسُونَ لاَ مَحَالَةَ فِى أَحَدِ هَذَيْنِ الاِحْتِمَالَيْنِ، وَكِلاَهُمَا سَيِّئٌ قَدْ بَلَغَ فِى السُّوءِ غَايَتَهَ وَمُنْتَهَاهُ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

**أَمَّا الْقَوْلُ الْحَقُّ** فَهُوَ: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي جُزْئِهِ الَّذِي اجْتَزَأْنَاهُ مِنْهُ يُثِيرُ أَمَامَنَا قَضِيَّتَيْنِ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ يَحْسُنُ بِكُلِّ قَارِئٍ أَنْ يَعْلَمَهُمَا، وَأَنْ يُحِيطَ بِأَطْرَافِهِمَا إِحَاطَةً تَنْفِي عَنْهُ كُلَّ جَهَالَةٍ وَتُزِيلُ عَنْ ذِهْنِهِ كُلَّ لَبْسٍ.

وَسَأُحَاوِلُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ أَنْ أَقِفَ عِنْدَ كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ بِقَصْدِ أَنْ أُبَصِّرَكَ وَأُبَصِّرَ نَفْسِي بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الإِيضَاحِ وَالتَّبْصِيرِ.

**١- أَمَّا أَحَدُهُمَا:** فَهُوَ مَسْأَلَةُ الإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ، وَالْغَيْبُ الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ الْحَدِيثُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

وَأَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ مِنْهُمْ:

- مَنْ هُمْ سُكَّانُ الْقُبُورِ الآنَ،
- وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ يَقْضُونَ أَعْمَارَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا،
- وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ فِي أَرْحَامِ الأُمَّهَاتِ لَمْ تَدْفَعْ بِهِمُ الأَرْحَامُ بَعْدُ إِلَى حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ،
- وَمِنْهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الآبَاءِ لَمْ يُقَدِّرِ اللَّهُ لَهَا بَعْدُ أَنْ تُقْذَفَ إِلَى أَرْحَامِ الأُمَّهَاتِ.

وَمَعْنَى هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تَفْتَحْ أَبْوَابَهَا بَعْدُ لاِسْتِقْبَالِ نُزَلاَئِهَا وَلاَ كَذَلِكَ النَّارُ انْتِظَارًا لِكَلِمَةِ الْفَصْلِ وَالْحِسَابِ بَعْدَ أَنْ تُبَدَّلَ الأَرْضُ غَيْرُ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ، وَبَعْدَ أَنْ يَبْرُزَ الْعِبَادُ لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَبَعْدَ أَنْ تُوضَعَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْمَوَازِينُ الْقِسْطِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَعْدَ أَنْ تُشْرِقَ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَيُوضَعُ الْكِتَابُ.

وَهَذِهِ أُمُورٌ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِضَمِيرِ الْغَيْبِ.

وَالْقَوْمُ يَقُولُونَ إِنَّ الْغَيْبَ الْمَجْهُولَ لاَ يَعْرِفُهُ مُحَمَّدٌ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلاَ غَيْرُهُ.

أَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ بِكُلِّ الثِّقَةِ: إِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ خَطَأٌ مِائَةٌ فِى الْمِائَةِ فَالْمَسْأَلَةُ عِنْدَنَا عَقِيدَةٌ نَعْتَقِدُهَا وَيَعْتَقِدُهَا مَعَنَا سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ، وَاِعْتِقَادُنَا بِالْقَطْعِ يُخَالِفُ مَا ذَكَرُوهُ وَمَا قَالُوهُ.

فَهُمْ حِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ مِنَ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا مُحَمَّدٌ وَلاَ غَيْرُهُ، يَكُونُونَ قَدْ نَقَلُوا الْحَدِيثَ مِنْ مُحَمَّدٍ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْقِمَّةِ.

وَالْقِمَّةَ هُنَا وُجُودٌ مُسْتَقِلٌّ للَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، لاَ يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، إِذْ لَيْسَتْ هُنَاكَ ذَاتٌ تُشْبِهُ ذَاتَهُ وَحَاشَاهُ، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ صِفَةٌ تُشْبِهُ صِفَتَهُ - عَزَّ وَجَلَّ- سُبْحَانَهُ عَنْ أَنْ يُشْبِهُهُ فِى صِفَاتِهِ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ فِعْلٌ يُشْبِهُ فِعْلَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلاَءُ مِنَ الْمِلِّيِّينَ وَغَيْرِ الْمِلِّيِّينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَيَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ وَيَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا لاَ يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ عَقِيدَةٍ، لاَ تُنَاقِضُ الْعَقْلَ وَلاَ تُعَارِضُهُ وَإِنْ كَانَتْ تَسْمُو فَوْقَهُ وَتَعْلُو عَلَيْهِ ؟!

وَنَقْلُ الْمَسْأَلَةِ بِرُمَّتِهَا إِلَى الْقِمَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ فِيهِ جَرْحٌ لِمَشَاعِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّوَاءِ.

فَالْمُؤْمِنُونَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ جُرِحُوا فِى مَشَاعِرِهِمُ الْعَقَدِيَّةِ.

وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ جُرِحُوا فِى مُسَلَّمَاتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ.

وَهَذَانِ الأَمْرَانِ أَعَزُّ مَا يَمْلِكُهُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ.

وَكِلاَ الْفَرِيقَيْنِ يَسْتَنْكِرُونَ هَذِهِ الْمَقُولَةَ الشَّنْعَاءَ الَّتِى قَالَهَا مُنْكِرُو السُّنَّةِ، حَيْثُ قَالُوا بِعِبَارَتِهِمْ: إِنَّ الْغَيْبَ أَمْرٌ مَسْتُورٌ لاَ يَعْلَمُهُ مُحَمَّدٌ – صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلاَ غَيْرُهُ.

إِنَّنَا نَقُولُ بِالاِعْتِقَادِ وَبِمُسَلَّمَاتِ الْعَقْلِ: إِنَّ غَيْرَ النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الَّذِى هُوَ رَبُّ النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ شَكَّ.

وَإِنَّنَا نَقُولُ إِنَّ غَيْرَ النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الَّذِى هُوَ رَبُّ النَّبِىِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ أَعْلَمَنَا فِى الْقُرْآنِ أَنَّهُ يُطْلِعُ الأَنْبِيَاءَ عَلَى بَعْضِ الْغَيْبِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ عَلَى شَىْءٍ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ فَهُوَ الْقَائِلُ ﴿**عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿رَّسُولٍ﴾ [الْجِنُّ:٢٦، ٢٧].

فَهَلِ الْقَوْمُ يُرِيدُونَ مِنَّا أَنْ نَتْرُكَ عَقِيدَتَنَا إِلَى الإِيمَانِ بِعَقِيدَةٍ أُخْرَى الإِلَهُ فِيهَا لاَ يَعْلَمُ إِلاَّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فَقَطْ ؟!

أَمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ مِنَّا أَنْ نَنْتَقِلَ إِلَى عَقِيدَةٍ الإِلَهُ فِيهَا يَقُولُ وَيَعِدُ بِأَنَّهُ سَيُطْلِعُ أَنْبِيَاءَهُ عَلَى الْغَيْبِ فِي بَعْضِ صُوَرِهِ ثُمَّ لاَ يَفْعَلُ ؟!

أَمَّا نَحْنُ فَقَدِ اسْتَقَرَّتْ عَقِيدَتُنَا عَلَى الإِيمَانِ بِإِلَهٍ لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ وَالأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ وَالأَفْعَالُ الَّتِي لاَ يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ.

وَنَحْنُ رَاضُونَ بِمَا نَعْتَقِدُ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ إِذَا قَالَ لاَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَقَدْ قَالَ إِنَّهُ سَيُطْلِعُ رُسُلَهُ عَلَى بَعْضِ غَيْبِهِ، وَقَدْ فَعَلَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيُّهُ.

أَمَّا الْقَوْمُ فَلَهُمْ مَا يُرِيدُونَ ﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾ [الْكَهْفُ: ٢٩].

**٢- أَمَّا الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَةُ** الَّتِي يُثِيرُهَا هَذَا الْحَدِيثُ أَوْ عَلَى الأَحْرَى هَذَا الْجُزْءُ الَّذِي اجْتَزَأْنَاهُ مِنَ الْحَدِيثِ فَهِيَ قَضِيَّةُ الْبُكَاءِ وَعِلاَقَتُهُ بِسَعَادَةِ مُوسَى أَوْ أَلَمِهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ.

وَقَبْلَ أَنْ نُعَالِجَ حُدُودَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ نُسَجِّلُ أَوَّلاً أَنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ لَمْ تَغِبْ عَنْ عُقُولِ الْمُفَكِّرِينَ مِنْ أُمَّةِ الإِسْلاَمِ، وَأَنَّ الْحُلُولَ الْخَاصَّةَ بِهَذِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْقَضِيَّةِ -عَلَى الْفَرْضِ أَنَّهَا تُصَوِّرُ مُشْكِلَةً- لَمْ تَكُنْ غَائِبَةً عَنْ أَذْهَانِ الْمُفَكِّرِينَ حَيْثُ نَاقَشُوهَا مُنَاقَشَةَ الْعَاقِلِ الْفَاهِمِ الَّذِى لَمْ يَشَأْ أَنْ يُورِدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ، وَأَنْ يَقْتَحِمَ بِهَا لُجَّةً غَامِضَةً مِنْ بِحَارِ الْخِيَانَةِ وَالآثَامِ.

فِى الْحَدِيثِ أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- حِينَ جَاوَزَهُ النَّبِىُّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَكَى وَعَلَّلَ بُكَاءَهُ هَذَا بِأَنَّ النَّبِىَّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرَغْمِ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٍ فِى الظُّهُورِ إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالْبُكَاءُ مِنْ مُوسَى حَادِثَةٌ مِنَ الْحَوَادِثِ وَمَظْهَرٌ مِنَ الْمَظَاهِرِ الَّتِى تَعْرِضُ لِلْجِسْمِ الْمَادِّىِّ فَتُعَبِّرُ عَنْ حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِ النَّفْسِ لاَ يَعْرِفُهَا إِلاَّ صَاحِبُهَا أَوْ مِنْ كَانَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ.

فَأَنْتَ تَدْمَعُ عَيْنَاكَ لِتُعَبِّرَ عَنْ حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِ السَّعَادَةِ فِى دَاخِلِكَ، فَإِذَا كَانَ شَرُّ الْبَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِنَّ أَعْلَى دَرَجَاتِ السَّعَادَةِ مَا يُبْكِى.

وَتِلْكَ حَالاَتٌ عَجِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ يَعْصِفُ بِهَا إِعْصَارُ الْحُزْنِ وَالأَلَمِ إِلَى أَنْ يُعَبِّرَ الْجِسْمُ عَنْ ذَلِكَ بِالضَّحِكَاتِ.

وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ نَادِرَةً مِنَ النَّوَادِرِ، بِحَيْثُ لاَ يَجِدُهَا التَّارِيخُ إِلاَّ عِنْدَ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ فِى جِيلٍ مِنَ الأَجْيَالِ أَوْ فِى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَجْيَالٍ مُتَعَاقِبَةٍ، وَلَكِنَّهَا ظَاهِرَةٌ مِنَ الظَّوَاهِرِ قَدْ بَلَغَ مِنْ عُمُومِهَا فِي الْحَدِّ الَّذِي صَارَتْ تُوضَعُ مَعَهُ مَثَلاً، حَيْثُ يَقُولُ النَّاسُ، حِينَ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ وَهُمْ يَضْحَكُونَ (إِنَّ شَرَّ الْبَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ).

وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ عَكْسُهُ مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ الَّتِي تَعْرِضُ لَهَا، وَلَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ الأَشْيَاءِ النَّادِرَةِ فِي الْوُقُوعِ.

فَإِنَّنَا كَثِيرًا مَا نَجِدُ الإِنْسَانَ يَأْخُذُهُ السُّرُورُ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِهِ وَتَكْتَنِفُ نَفْسَهُ الْفَرْحَةُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، وَالْجَوَارِحُ تُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ بِالْبُكَاءِ.

وَتِلْكَ حَالَةٌ مِنْ حَالاَتِ النَّفْسِ يُعَبِّرُ عَنْهَا الْبُكَاءِ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَسِّرَهَا إِلاَّ صَاحِبُهَا أَوْ مَنْ كَانَتْ لَهُ خَاصِّيَّةُ أَنْ يَعْلَمَ السِّرَّ وَأَخْفَى.

وَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ حَالَةَ النَّفْسِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي تُعَبِّرُ الْجَوَارِحُ عَنْهَا بَالْبُكَاءِ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ أَحْوَالٌ أُخْرَى لِلنَّفْسِ لاَ تُعَبِّرُ عَنْهَا الْجَوَارِحُ إِلاَّ بِهَذَا الدَّمْعِ الْغَزِيرِ أَوِ الْقَلِيلِ.

وَمِنْهَا حَالاَتُ الرَّحْمَةِ فِي الْقَلْبِ وَتَجَاوُبِ النَّفْسِ مَعَ مَرِيضٍ مُزْمِنٍ يَتَأَلَّمُ وَلاَ أَمَلَ لَهُ فِي الشِّفَاءِ، أَوْ تَجَاوُبُهَا مَعَ فَقِيرٍ قَدْ عَضَّهُ الْجُوعُ بِنَابَيْهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ تَتَعَدَّدُ مَسْئُولِيَّاتُهُ، أَوْ مَعَ غَرِيقٍ أَوْ حَرِيقٍ لَيْسَ لَهُمَا مَنْ يُنْقِذُهُمَا، أَوْ مَا هُوَ نَظِيرُ ذَلِكَ كُلِّهِ مِمَّا يُثِيرُ فِي النَّفْسِ أَسْبَابَ الرَّحْمَةِ وَيَأْخُذُ بِهَا نَحْوَ التَّجَاوُبِ بِالاِنْفِعَالِ، وَالنَّفْسُ حِينَ تَنْفَعِلُ بِالرَّحْمَةِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَحِينَ لاَ تَجِدُ تَصَرُّفًا يُرْضِيهَا حِيَالَ هَذِهِ الْمَوْاقِفِ وَنظَائِرِهَا، لاَ تَجِدُ إِلاَّ هَذَا التَّعْبِيرَ عَنِ الاِنْفِعَالِ بِالْبكَاءِ.

وَمِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ الَّتِى يَكُونُ الْبكَاءُ تَعْبِيرًا عَنْهَا، هَذَا الأَسَى عَنْ شَىْءٍ قَدْ مَضَى وَفَاتَ وَيَصْعُبُ تَدَارُكُهُ أَوْ إِصْلاَحُهُ، كَهَذَا الإِنْسَانِ الَّذِى مَضَى مِنْ عُمُرِهِ مَا مَضَى وَقَدْ أَصْبَحَ طَرِيحَ الْفِرَاشِ فِى مَرَضٍ أَلِيمٍ، وَقَدِ ارْتَكَبَ فِى عُمُرِهِ الْكَثِيرَ مِنَ الآثَامِ وَجَمَحَ بِالْمَعَاصِى أَوْ جَمَحَتْ بِهِ إِلَى حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّرَ جَزَاءَهُ، أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ لِكَثْرَةِ مَا ارْتَكَبَ مِنَ الآثَامِ.

إِنَّهُ يَذْكُرُ فِى هَذِهِ الْحَالِ أَيَّامَهُ الْخَوَالِىَ وَعَجْزَهُ أَمَامَ هَذَا الْمَاضِى الَّذِى قَدِ انْتَهَى فَلاَ يَجِدُ إِلاَّ الْبُكَاءَ تَعْبِيرًا عَنِ الأَسَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلإِصْلاَحِ.

وَالنَّفْسُ تَأْسَى عَلَى صَاحِبِهَا فَتَتَأَلَّمُ لِذَلِكَ أَلَمًا شَدِيدًا.

وَالنَّفْسُ تَأْسَى عَلَى غَيْرِهَا فَلاَ تَأْلَمُ وَلاَ تَتَجَاوَزُ مَعَ صَاحِبِهَا حُدُودَ هَذَا الأَسَى الَّذِى يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْبُكَاءِ.

وَمِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ الَّتِى تَبْكِى مِنْ أَجْلِهَا مَا يَكُونُ مِنْهَا مِنْ حِقْدٍ أَوْ حَسَدٍ أَوْ غِلٍّ أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الطَّاغِيَةِ، حِينَ تَرَى الآخَرِينَ فِى نِعْمَةٍ أَوْ فِى سَعَادَةٍ وَهِىَ لاَ تَمْلِكُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا فَلاَ يَكُونُ لِذَلِكَ مِنْ تَعْبِيرٍ يُعَبِّرُ عَنِ الأَلَمِ الَّذِى تَشْعُرُ النَّفْسُ بِهِ إِلاَّ الْبُكَاءُ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غَيْرَ أَنَّ الْبُكَاءَ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَالَّتِي يَكُونُ سَبَبُهَا مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، إِنَّمَا يَسِيلُ عَلَى الْخُدُودِ بَعْدَ أَنْ مَرَّ بِنَارِ الْحِقْدِ الْعَالِيَةِ، وَبَعْدَ أَنَّ ارْتَفَعَتْ بِحَرَارَتِهِ انْفِعَالاَتُ الْحَسَدِ الْمُدَمِّرَةِ، وَبَعْدَ أَنَّ اخْتَلَطَ بِحِمَمِ الْبَغْضَاءِ حَتَّى يَكَادَ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ طَرِيقًا بَيِّنًا فِي الْمآقِي وَالْخُدُودِ.

إِنَّ الْبُكَاءَ إِذًا إِنَّمَا هُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِ النَّفْسِ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا وَلَمْ نَسْتَقْصِ، وَهُوَ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ يُعَبِّرُ عَنْ أَحْوَالٍ قَدْ تَكُونُ مُنْسَجِمَةً مُتَوَافِقَةً، وَقَدْ تَكُونُ مَتَعَارِضَةً مُتَنَاقِضَةً.

وَهُوَ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يُعَبِّرُ عَنْ حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِ النَّفْسِ لاَ يَعْرِفُهَا إِلاَّ صَاحِبُهَا أَوْ مَنْ يُجَالِسُونَهُ بِالْقَرِينَةِ، أَوْ رَبُّهُ بِمَا لَهُ مِنْ خَاصِّيَّةِ عِلْمِ الْغَيْبِ.

بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الْمُوجَزِ الْبَيِّنِ نَقُولُ: إِنَّ الْقَوْمَ نَظَرُوا إِلَى هَذِهِ الْفَقْرَةِ مِنَ الْحَدِيثِ وَحَمَلُوا بُكَاءَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– عَلَى أَنَّهُ لاَ يُعَبِّرُ إِلاَّ عَنْ حَالٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الْحِقْدُ أَوِ الْحَسَدُ أَوِ الْغِيرَةُ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَهَؤُلاَءِ الْقَوْمُ لاَ يَعْلَمُونَ مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ إِلاَّ هَذِهِ الأَحْوَالَ الَّتِي لاَ تُعَبِّرُ إِلاَّ عَنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، أَمْ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ نَحْوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ وَلَكِنَّ أَحْوَالَ نُفُوسِهِمُ الْخَاصَّةَ قَدْ جَعَلَتْهُمْ يُضَلِّلُونَ وَيُزَوِّرُونَ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِنْ صَرْفِ النَّاسِ عَنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ تَمْهِيدًا إِلَى صَرْفِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ فِي النِّهَايَةِ، بِاعْتِبَارِهِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِي يَرْجُونَهَا وَيَأْمُلُونَهَا، أَوْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَقَعُ مِمَّنْ هُمْ وَرَاءَهُمْ مَوَاقِعَ مَنْ يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ.

إِنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– قَدْ بَكَى وَلاَ شَكَّ، وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْمِلَ بكَاءَ مُوسَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِ النَّفْسِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَالَةُ مُعَبِّرَةً عَنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ.

**أَمَّا أَوَّلاً**: فَلأَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَمْرَاضُ الْقُلُوبِ خِسَّةٌ خُلُقِيَّةٌ يَتَرَفَّعُ عَنْهَا ذَوُوا الأَرْيَحِيَّاتِ وَالْقُلُوبِ الْعَظِيمَةِ، فَضْلاً عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

**وَأَمَّا ثَانِيًا**: فَلأَنَّهُ آخِرُ الْحَدِيثِ يَأْبَى كُلَّ الإِبَاءِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ بُكَاءَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– عَلَى مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ قَاصِدًا إِلَى هَذَا الْحَمْلِ أَوْ غَيْرَ قَاصِدٍ.

أَلَسْتَ تَرَى مَعِي أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي آخِرِ الْحَدِيثِ قَدْ بَيْنَ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَوَّلَ الأَمْرِ، وَلَمْ يُمْضِ اللَّهُ فَرِيضَتَهُ حَتَّى رَاجَعَهُ النَّبِيُّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِرَارًا، حَتَّى صَارَتْ الصَّلَوَاتُ خَمْسًا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنَّ الَّذِي يَحْمِلُ النَّبِيَّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَنْ يُرَاجِعَ رَبَّهُ هُوَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– ؟!

إِنَّنِي لاَ أَرَى لِذَلِكَ تَفْسِيرًا إِلاَّ أَنَّ عَالِمَ الْغَيْبِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– قَدْ عَلِمَ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ سَيَأْتِي مِنْ رِجَالِهَا أُنَاسٌ سُفَهَاءُ سَيَتَّهِمُونَ مُوسَى بِأَنَّهُ بَكَى حِقْدًا وَسَيَتَّهِمُونَ النَّبِيَّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ يُخْبِرُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ يَقُولُ مَا يَقُولُهُ خُيَلاَءَ وَكِبْرًا، فَشَاءَ رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَكُونَ مُوسَى هُوَ الَّذِى رَاجَعَ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَمَرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى رَبِّهِ كَىْ يَقْطَعَ أَلْسِنَةً وَيُرْغِمَ أُنُوفًا.

وَيَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ فِى النِّهَايَةِ قَدْ أُضِيفَ لَهُ بُعْدٌ جَدِيدٌ حَيْثُ يُعَدُّ مُعْجِزَةً لِلنَّبِىِّ مُحَمَّدٍ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِى إِخْبَارِهِ عَمَّا يَكُونُ عَسَاهُ أَنْ يَحْدُثَ فِى أُمَّتِهِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصُّدَفِ بَلْ مِنْ تَدْبِيرِ الْقَدَرِ أَنَّ عُلَمَاءَ الأُمَّةِ فِى الْمَاضِى قَدِ الْتَفَتُوا إِلَى جَمِيعِ مَا قُلْنَاهُ وَ أَكْثَرَ مِمَّا قُلْنَاهُ.

وَهَذِهِ عِبَارَةُ بَعْضِهِمْ بَيْنَ يَدَيْكَ:

فِى كِتَابِ فَتْحِ الْبَارِى عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ لاِبْنِ حَجَرٍ هَذَا النَّصُّ تَعْلِيقًا عَلَى الْحَدِيثِ الَّذِى نَحْنُ بِصَدَدِهِ قَالَ: ( قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمْ يَكُنْ بُكَاءُ مُوسَى حَسَدًا مَعَاذَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْحَسَدَ فِى ذَلِكَ الْعَالَمِ مَنْزُوعٌ عَنْ آحَادِ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ بِمَنِ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى؟! بَلْ كَانَ أَسَفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الأَجْرِ الَّذِى يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ رَفْعُ الدَّرَجَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُخَالَفَةِ الْمَقْتَضِيَةِ لِتَنْقِيصِ أُجُورِهِمْ الْمُسْتَلْزِمُ لِتَنْقِيصِ أَجْرِهِ، لأَنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَلِهَذَا كَانَ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ فِى الْعَدَدِ دُونَ مَنِ اتَّبَعَ نَبِيَّنَا -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ طُولِ مُدَّتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ « غُلاَمٌ » فَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ النَّقْصِ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التَّنْوِيهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ إِذْ أَعْطَى لِمَنْ كَانَ فِى ذَلِكَ السِّنِّ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْ مُوسَى مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ أَمْرِ الصَّلاَةَ مَا لَمْ يَقَعْ لِغَيْرِهِ وَوَقَعَتِ الإِشَارَةُ لِذَلِكَ فِى حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرِىِّ وَالْبَزَّارِ قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- : "كَانَ مُوسَى أَشَدَّهُمْ عَلَىَّ حِينَ مَرَرْتُ بِهِ، وَخَيْرُهُمْ لِى حِينَ رَجَعْتُ إِلَيْهِ"، وَفِى حَدِيثِ أَبِى سَعِيدٍ: "فَأَقْبَلْتُ رَاجِعًا، فَمَرَرْتُ بِمُوسَى وَنِعْمَ الصَّاحِبُ كَانَ لَكُمْ، فَسَأَلَنِى: كَمْ فَرَضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ" الْحَدِيثُ، قَالَ ابْنُ أَبِى حُجْرَةَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّحْمَةَ فِى قُلُوبِ الأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا جَعَلَ فِى قُلُوبِ غَيْرِهِمْ، لِذَلِكَ بَكَى رَحْمَةً لأُمَّتِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ «هَذَا غُلاَمٌ» فَأَشَارَ إِلَى صِغَرِ سِنِّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، قَالَ الْخَطَّابِىُّ: الْعَرَبُ تُسَمِّى الرَّجُلَ الْمُسْتَجْمِعَ السِّنَّ غُلاَمًا مَا دَامَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْقُوَّةِ. انْتَهَى،

وَيَظْهَرُ لِى أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- أَشَارَ إِلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى نَبِيِّنَا عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ اسْتِمْرَارِ الْقُوَّةِ فِى الْكُهُولِيَّةِ وَإِلَى أَنْ وَصَلَ فِى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى بَدَنِهِ هَرَمٌ وَلاَ اعْتَرَى قُوَّتَهُ نَقْصٌ، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ فِى قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ - كَمَا سَيَأْتِى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - لَمَّا رَأَوْهُ مُرْدِفًا أَبَا بَكْرٍ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمَ الشَّابِّ وَعَلَى أَبِى بَكْرٍ اسْمَ الشَّيْخِ مَعَ كَوْنِهِ فِى الْعُمُرِ أَسَنَّ مِنْ أَبِى بَكْرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِىُّ: الْحِكْمَةُ فِى تَخْصِيصِ مُوسَى بِمُرَاجَعَةِ النَّبِىِّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِى أَمْرِ الصَّلاَةِ لَعَلَّهُ لِكَوْنِ أُمَّةِ مُوسَى تَلَقَّتْ مِنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصَّلَوَاتِ بِمَا لَمْ يُكَلَّفْ بِهِ غَيْرُهَا مِنَ الأُمَمِ، فَثَقُلَتْ عَلَيْهِمْ، فَأَشْفَقَ مُوسَى عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ « إِنِّى قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ » انْتَهَى.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَعَلَّهَا مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ لَيْسَ فِى الأَنْبِيَاءِ مَنْ لَهُ أَتْبَاعٌ أَكْثَرُ مِنْ مُوسَى، وَلاَ مَنْ لَهُ كِتَابٌ أَكْبَرُ وَلاَ أَجْمَعُ لِلأَحْكَامِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مُضَاهِيًّا لِلنَّبِيِّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَاسَبَ أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيدَ زَوَالَهُ عَنْهُ، وَنَاسَبَ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ وَيَنْصَحَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِ فِى الاِبْتِدَاءِ الأَسَفُ عَلَى نَقْصِ حَظِّ أُمَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ حَتَّى تَمَنَّى مَا تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ اسْتَدْرَكَ ذَلِكَ بِبَذْلِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ لِيُزِيلَ مَا عَسَاهُ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَيْهِ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ فِى الاِبْتِدَاءِ.

وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ: أَنَّ الْحِكْمَةَ فِى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَأَى فِى مُنَاجَاتِهِ، صِفَةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْهُمْ، فَكَانَ إِشْفَاقُهُ عَلَيْهِمْ كَعِنَايَةِ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ... وَقَدْ وَقَعَ مِنْ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فِى هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مُرَاعَاةِ جَانِبِ النَّبِيِّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ أَمْسَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا وَقَعَ لَهُ حَتَّى فَارَقَهُ النَّبِيُّ -صَلَى اللهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَدَبًا مَعَهُ وَحُسْنَ عِشْرَةٍ، فَلَمَّا فَارَقَهُ بَكَى وَقَالَ مَا قَالَ)[1].

اهـ

وَهَذِهِ الْعِبَارَاتُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ مَا تَرَكَتْ شَيْئًا مَغْمُورًا، وَلاَ مَوْقِفًا غَامِضًا.

وَكُنَّا نَوَدُّ لَوْ أَنَّ الْقَوْمَ اطَّلَعُوا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَرَجَوْهُ أَنْ يَصْلُحَ لَهُمْ مِنْ عَقَائِدِهِمْ.

وَفِي آخِرِ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ الْمُبْكِيَاتِ أَنَّهُمْ قَالُوا كَعَادَتِهِمْ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ وَضْعِ الْيَهُودِ وَلَسْتُ أَرَى عَجَبًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَجَبِ الَّذِي يُثِيرُهُ قَوْلُ هَؤُلاَءِ إِذْ هُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– وَالْيَهُودِ، وَمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– يَأْسَفُ عَمَّا وَقَعَ مِنْ قَوْمِهِ وَيَرْفَعُ مِنْ قِيمَةِ النَّبِيِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأُمَّتِهِ وَيَبْكِي فَرَحًا لأُمَّةِ النَّبِيِّ –صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ وَأَسَفًا عَلَى مَا بَدَرَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِيهِ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ خَلاَئِقِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ أَنْ يَرْتَفِعَ فَوْقَهُمْ أَحَدٌ وَلَوْ فِي مُجَرَّدِ الْقَوْلِ السَّيَّارِ، فَهُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَارُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ أُمَمِيُّونَ لَيْسَ عَلَى الْيَهُودِ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَبِيلٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي إِيذَاءِ الْكُلِّ وِزْرٌ، فَهُمُ –الْجُوَيْمُ أَوِ الْحَيَوَانَاتُ– الَّذِينَ لَيْسَ عَلَى الْجِنْسِ

---

[1] فَتْحُ الْبَارِي كِتَابُ مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ (٧ / ٢١١، ٢١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّذِى هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُمْ فِيهِمْ شَىْءٌ يُذْكَرُ أَوْ مَلاَمٌ يُقَالُ.

إِنَّ خَلاَئِقَ الْيَهُودِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ وَهِىَ تَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَيْهِمْ أَحَدًا حَتَّى وَلَوْ كَانَ الَّذِى رَفَعَهُ عَلَيْهِمْ هُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَمَعَ هَذِهِ الْخَلاَئِقِ الَّتِى يَعْرِفُهَا الْقَاصِى وَالدَّانِى وَالَّتِى سَجَّلَهَا الْقُرْآنُ نَرَى أَصْحَابَنَا مِمَّنْ يُنْكِرُونَ السُّنَّةَ وَلاَ يُرِيدُونَهَا، ومِمَّنْ يجَافُونَ بَيْنَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَهُ، يَرْفَعُونَ عَقِيرَتَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذَا مِنْ صُنْعِ الْيَهُودِ.

وَالْقَوْمُ لَيْسَ لَهُمْ هَدَفٌ يَبْتَغُونَهُ، وَلاَ أَمَلٌ يَرْجُونَهُ إِلاَّ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَلْبِلُوا الأَفْكَارَ وَيَسْتَجْدُوا الْجَاهِلِينَ وَيَسْتَثِيرُوا الْعَوَاطِفَ وَالْمَشَاعِرَ بِغَيْرِ مُثِيرٍ لِعَاطِفَةٍ أَوْ شُعُورٍ.

**وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ!**

وَفِى هَذَا الاِجْتِزَاءِ الأَخِيرِ لَهُمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ كَلاَمٌ لاَ جِدَّةَ فِيهِ وَلاَ طَرَافَةَ، وَتَعْلِيقٌ مُعَادٌ يَفُتُّ فِى عَضُدِ الْقِرَاءَةِ، وَيُتْعِبُ الأَعْيُنَ النَّاظِرَاتِ فِيمَا يَكْتُبُونَ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ هَذِهِ الْمَرَّةَ إِنَّ فِى الْحَدِيثِ: أَنَّ آدَمَ قَدْ رَآهُ النَّبِىُّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَضْحَكُ وَيَبْكِى، يَضْحَكُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَبْنَائِهِ، وَيَبْكِى حِينَ يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ.

وَالكَلاَمُ الَّذِى قَالُوهُ فِى بُكَاءِ مُوسَى أَعَادُوهُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ هَذَا الْعَدَدِ الْهَائِلِ مِنَ الأَرْقَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُغَيِّرُوا فِيهِ شَيْئًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَا قُلْنَاهُ فِي بُكَاءِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ– نَقُولُهُ فِي بُكَاءِ آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلامُ–، مَعَ تَوْجِيهٍ لاَ يَصْعُبُ عَلَى الْقَارِئِ صُنْعُهُ، وَلَكِنَّنَا نُضِيفُ هُنَا كَلاَمًا نُسَجِّلُ فِيهِ نَصِيحَةً لِلْقَوْمِ نَقُولُ فِيهَا إِنَّ حِيَلَكُمْ مَفْهُومَةٌ، وَأَلاَعِيبَكُمْ فِي الْمَنْهَجِ لاَ تَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلٍ، بَلْ إِنَّهَا لاَ تَكَادُ تَخْفَى عَلَى عُقُولِ الصِّبْيَانِ وَلاَ تَغِيبُ عَنْ أَحْلاَمِ الْبُلَهَاءِ.

ثُمَّ نَقُولُ: أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي هَذَا الْقَوْلِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ [الْحَدِيدُ: ١٦].

أَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: لَقَدْ آنَ يَا رَبِّ فَاغْفِرْ وَارْحَمْ!

أبو صهيب
عمر محمد عمر عبد الرحمن